

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثالثة والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

مما أجمع عليه أهل العلم من هذه الأمة أن أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه هو الكتاب الذي صنفه هذا الفتى (محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله) هذا الكتاب الذي لقي قبولاً عند الناس ، ونفع الله به خلقاً كثيراً . يحدث البخاري عن سبب جمعه لهذا الكتاب فيقول : كنت عند إسحاق بن راهوييه فقال بعض أصحابنا لو جمعت كتاباً مختصراً لسنن النبي صلى الله عليه وسلم فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب .

وأما في منهج البخاري (رحمه الله) في كتابته لهذا الجامع فقد ذكرنا أمراً عجباً يندر أن يوجد عند غيره من المؤلفين ، استمع إليه وهو يقول : " ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين " . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ورعه وتقواه ، ودقته من النقل ، وخشيته على نفسه من أن ينسب إلى رسو الله (صلى الله عليه وسلم) ما لم يقله .

ولا شك أن هذا المنهج منهج صعب فمن ذا الذي كلما أراد أن يكتب شيئاً في إطار التأليف ذهب يغتسل ويصلي ركعتين ، وليس هذا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو حتى عشرراً أو مائة ، إنه مرار وتكرار على مدار بضعة عشرة سنة قضاها في جمع الصحيح . وهذا المنهج يدل على صبره في طلب العلم وجمعه .

وهذا الموقف من حياة البخاري (رحمه الله) يعطي درساً بليغاً لشباب الأمة في الصبر على طلب العلم ، وبذل الجهد فيه والإخلاص في الطلب والتأليف . وإن كثيراً من شباب المسلمين لم يمنعهم من تحصيل العلم إلا قلة الصبر وعدم بذل الجهد فيه . فعلى قدر الجهد المبذول يكون التحصيل .

ومن منهج البخاري أيضاً في جمع هذا الصحيح قوله : " ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب " فما في هذا الكتاب إلا ما هو صحيح عنده ، وكذلك هو عند عامة المسلمين .

كما كان الإمام (رحمه الله) حافظاً لما أودعه في صحيحه ، قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم قلت لأبي عبد الله: "تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ فقال: لا يخفى علي جميع ما فيه" .

وإلى طرف آخر من جده واجتهاده ، قال محمد بن يوسف البخاري قال كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها .

هكذا هم أهل العلم الذين انتفعوا به ونفعوا به الأمة ، هم الذين لا يمنعهم النوم عن طلبه ، بل يتركون النوم من أجله، إلى الحد الذي لا يضر معه أبدانهم ، وهذا هو الإمام

البخاري (رحمه الله) يستيقظ في الليلة الواحدة بضع عشرة مرة من اجل تسجيل العلم وتوثيقه ، والتعليق على كتبه . فمن ذا الذي يصنع كما يصنع البخاري (رحمه الله) .

قال ابن عدي سمعت عبد القدوس بن همام يقول سمعت عدة من المشايخ يقولون حول محمد بن إسماعيل تراجم جامع بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين وقال سمعت البخاري يقول صنف الصحيح في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى .

والإمام البخاري (رحمه الله) كان يقدر العلم قدره ، ولا يتغني به من الدنيا شيئاً ، فإنما طلبه الله وبذله الله ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعطينا مما أعطاه . كتب إلى أبي عبد الله بعض السلاطين في حاجة له ودعا له دعاء كثيراً، فكتب إليه أبو عبد الله: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد وصل إلي كتابك وفهمته وفي بيته يؤتى الحكم والسلام .

ولنا أن نتساءل الآن كيف كانت حال البخاري (رحمه الله) في سن الشباب مع أقرانه ، يصف لنا هانئ بن النضر فيقول: "كنا عند محمد بن يوسف يعني الفريابي بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرساد (التوت وقيل حملة) ونحوه وكان محمد بن إسماعيل معنا وكان لا يزارحنا في شيء مما نحن فيه ويكب على العلم" حتى وقت التنزه مع أقرانه من الشباب فلم يكن يضيع وقته ، بل يشتغل بالعلم (رحمه الله) فهذا هو الذي يعرف قيمة الوقت فيحافظ عليه .

وهذا الطرف من حياته (رحمه الله) أسوقه إلى شبابنا اليوم أهل النزهة والسياسة، فمنهم من يسرف على نفسه في هذا الجانب فيضيع فيه وقتاً كثيراً ، فتذهب أوقاته هدرًا ، ففي الصباح نزهة ، وفي المساء نزهة. وفي الليل نزهة، وفي النهار نزهة . وكل وقته نزهة ، هنا وهناك ، في البراري والاستراحات ، عند الأنهار والبحار ، وفي كل مكان . فهذا الصنف من الشباب متى يكون وقت الجد عنده ، متى وقت العلم والطلب . وليت الأمر يقف عند هذا الحد من النزهة المباحة ، بل يتعدى الأمر ببعضهم إلى ارتكاب المحرمات وتضييع الواجبات ، فيضيعون إلى إضاعة أوقاتهم آثاماً تحملوها بأفعالهم .

وهناك نوع آخر من الشباب وفقهم الله لا تغيب عنهم سيرة البخاري وأمثالهم وإن خرجوا للنزهة فإن أوقاتهم لا تضيع هدرًا ، إضافة إلى حرصهم على أنفسهم من عدم تضييع الواجبات أو الوقوع في المحرمات ، فيرجعون من نزعتهم بخير كثير من علم نافع وعمل صالح .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .